الشعراوي والـــذراع الصلبـــة

من الواضح جدا ان ما يقوم به الكتاب الليبراليون واصحاب الفكر المستنير من تصد ورد لمقولات ومقالات المتاسلمين والمنتمين للاحزاب الدينية هو بحد ذاته اعتراف بقوة هؤلاء وبنجاحهم في جر الاخرين الى ساحتهم والهائهم بتوافه الامور. وبالرغم من دقة وصواب هذا الراي الا ان البديل اكثر خطورة وجلبا للمضرة، فقد اثبتت الكثير من الاحداث مدى الضرر الذي يصيب المجتمع عند ترك الساحة خالية لطرف واحد (يرمح ويقفز ويخبط ويفصل بها كما يحب ويشتهي)، بصرف النظر عن مدى صحة وجهة نظر ذلك الطرف الوحيد وصواب رايه، حيث ان القوة المطلقة (المحتكرة والمستفردة) غالبا ما ينتهي بها الامر الى فساد مطلق.

من المؤسف اننا عدنا لعادتنا القديمة واصبحنا مرة اخرى من قراء محمد الشيباني!!. وقد جاء قرارنا هذا ليس استجابة الى طلب جماهير شعبنا المناضل، بل لان السكوت عما يكتبه احيانا يجبرك على ترك ما تحب عمله في ليلة هادئة من قراءة مفيدة او مشاهدة فيلم سينمائي رائع بصحبة العائلة او سماع مقطوعة موسيقية مرهفة، يجبرك على ترك كل ذلك والجلوس وراء ذلك الكمبيوتر اللعين للرد عليه وعلى امثاله لكي نمنع ولو قارئا واحدا من تصديق ما يقوم بايراده في الكثير من مقالاته من اراء وافكار غريبة.

كتب قبل ايام معلقا على الاعجاز العلمي الذي حققه العلماء الاميركيون في الوصول الى المريخ، وسخر من كل من تعجب او اصابه الذهول من ذلك الانجاز... سرد بعدها مجموعة من الروايات غير معروفة المصدر او الهدف وانتهى الى القول بالحرف الواحد ... ولن تجد «باثفايندر» على سطح المريخ غير الصخور، كما كان الحال على القمر، اما الحياة فلا توجد الا على الارض.....!!!!!» والحقيقة انني فوجئت بهذا الاكتشاف الذي توصل اليه هذا «العالم المطلع»، واصبحت اتساءل عن الذي منع علماء اميركا وروسيا وباقي الدول الاوروبية من معرفة هذه الحقيقة البسيطة، ولماذا لا تقوم الحكومة بانتداب الاخ محمد الى وكالة «ناسا»، كما فعلت مع مئات من موظفيها الذين انتدبوا الى مختلف الجمعيات الدينية، وان فعلت الحكومة ذلك فانها ستضرب عدة عصافير بحجر واحد، وسيكون اقلها فائدة اراحتنا وبقية القراء من قراءة مثل هذه الترهات، والتي تذكرنا بما سبق ان صرح به فضيلة الشيخ محمد متولي شعراوي، شفاه الله وعافاه، ليعود لخدمة المسلمين بفتاواه عن جناحي الذبابة، وذلك تعليقا على نزول «ارمسترونغ» على القمر، وذلك عندما قال ان ذلك مستحيل، وان الامر لا يخرج عن كونه خدعة سينمائية من اخراج استديوهات هوليوود يراد بها خداع الناس!!!.

ان ما قام به هذا «الكاتب» من سخرية من مهمة «الباثفايندر» ماهو الا ترجمة للعجز الذي شعر به هو ورفاقه في تفسير هذا الاعجاز العلمي، وربما كانوا من المؤمنين بان افضل طريقة للدفاع هي الهجوم، وهذا من الناحية العلمية وفي الحالة التي نحن بصددها تبين مدى ما «يمتاز» به الكثير من هؤلاء من استعداد فطري لنعت كل انجاز يقوم به «الاخرون» بالتافه، وخاصة اذا كان «الاخرون» من الكفرة، والغريب ان تجد لدى «الجماعة» استعدادا تاما في الوقت نفسه، وفي اصرار عجيب، على الاستفادة من فوائد ما تاخر وما تقدم من انجازات هؤلاء الكفرة!!!.

ربما لا يعرف الاخ محمد ان غالبية ما ينعم به من رفاهية ونعمة و «برودة» وراحة في البدن وفي المسكن ماهو الا نتاج مثل هذه الرحلات والاكتشافات العظيمة، ولولا ذلك الفضول العلمي، الذي طالما امتازت به الكثير من الشعوب، والذي كتب علينا ان لا نكون منها لحكمة ما، ربما بسبب ما ابتلينا به دائما من عقليات متحجرة، لما تمكن الجنس البشري من اكتشاف البحار والانهار والقارات والمناجم والبارود وملايين الاختراعات الاخرى، وآلاف انواع الاطعمة والاشربة ومعرفة انواع عديدة من الحشرات والحيوانات واكتشاف عدد لا حصر له من الادوية والامصال، ولبقينا نردد مقولة هذا الغائص في الكتب المغبرة بان لا حياة الا على كوكب الارض، اما الكواكب الاخرى فلن يجدوا عليها الا الصخور، فلا ارض بعد هذه المحيطات. ولا علم فوق علم علمائنا!!!.

احمد الصراف